يَـمِـيـنـاً لَـوْ حَـلَـفْـتَ وَأَنْـتَ تَـأْتِـي
عَـلَـى قَـتْـلِـي بِـهَـا لَـضَـرَبْـتُ عُـنُـقِـي (١)

كلنا للخالق

كان لأبي الطيب حِجْرة تسمى الجهامة ولها مهر يسمى الطخرور، فأقام الثلج على الأرض بأنطاكية وتعذر المرعى على المهر فقال:

[الرجز]

مَـا لِـلْـمُـرُوجِ ٱلْـخُـضْـرِ وَٱلْـحَـدَائِـقِ
يَـشْـكُـو خَـلَاهَـا كَـثْـرَةَ الْـعَـوَائِـقِ (٢)
أَقَـامَ فِـيـهَـا الـثَّـلْـجُ كَـالْـمُـرَافِـقِ
يَـعْـقِـدُ فَـوْقَ الـسِّـنِّ رِيـقَ الْـبَـاصِـقِ (٣)
ثُـمَّ مَـضَـى لا عَـادَ مِـنْ مُـفَـارِقِ
بِـقَـائِـدٍ مِـنْ ذَوْبِـهِ وَسَـائِـقِ (٤)
كَـأَنَّـمَـا الـطُّـخْـرُورُ بَـاغِـي آبِـقِ
يَـأْكُـلُ مِـنْ نَـبْـتٍ قَـصِـيـرٍ لاصِـقِ (٥)

= ولكن طاعة وحبًّا لممدوحه لأنه أقسم عليه بحياته وهو يحبّه حباً صادقاً لا رياء فيه ولا محاباة.

(١) والقسم من قبل الممدوح لا بدّ نافذ، فلو طلب من الشاعر قتل نفسه لبادر بذلك دون تردّد، فضرب عنقه حبًّا وطاعة.

(٢) و (٣) المروج، الواحد مرج: المراعي. الحدائق، الواحدة حديقة: البستان المسوّر. الخلى: النبات الرطب. العوائق، الواحد عائق: الموانع. يتضجّر الشاعر من قسوة الطبيعة، فالثلوج غطّت الأرض بردائها الجميل الأبيض ممَّا حال دون ظهور الكلأ؛ فإذا بالنبات يشكو سوء حالته، فلا يستطيع التنفّس لما تراكم عليه من الثلوج. فقد حطّ رحاله فلا يتزحزح عن المكان، فإذا بكلّ شيء جامد لا يتحرّك حتى لو أن امرأً حاول أن يبصق لتجمّد ريقه فوق أسنانه.

(٤) إنه الدفء يدبّ في أحشاء الطبيعة، فإذا بالبرد ينحسر عن وجه الأرض؛ فالثلج تدبّ فيه الحرارة ويذوب، وإذا بالأرض تتحرّر من ربقة الثلج شيئاً فشيئاً.

(٥) الطخرور: اسم مهر الشاعر. باغي: طالب. الآبق: العبد الفارّ من سيده. يصوّر =

كَقَشْرِكَ ٱلْحِبْرَ عَنِ الْمَهَارِقِ
أُرُودُهُ مِنْهُ بِكَالشُّوذانِقِ (١)
بِمُطْلَقِ الْيُمْنَى طَوِيلِ الْفَائِقِ
عَبْلِ الشَّوَى مُقَارِبِ الْمَرَافِقِ (٢)
رَحْبِ اللَّبَانِ نَائِهِ الطَّرَائِقِ
ذِي مَنْخِرٍ رَحْبٍ وَإِطْلٍ لاحِقِ (٣)
مُحَجَّلٍ نَهْدٍ كُمَيْتٍ زَاهِقِ
شَادِخَةٍ غَرَّتُهُ كَالشَّارِقِ (٤)
كَأَنَّهَا مِنْ لَوْنِهِ فِي بَارِقِ
بَاقٍ عَلَى الْبَوْغَاءِ وَالشَّقَائِقِ (٥)
وَالأَبْرَدَيْنِ وَٱلْهَجِيرِ الْمَاحِقِ
لِلْفَارِسِ الرَّاكِضِ مِنْهُ الْوَاثِقِ (٦)

= الشاعر ما كان عليه مهره؛ فجوعه جعله يلاحق العشب حيثما وجده، فلا يمكث في مكان واحد بل يلاحقه وكأنه عبد فرّ من سيده لشدّة جوعه وقلّة ما يُوجد من العشب.

(١) المهارق، الواحد مهرق: الصحيفة للكتابة فيها. أورده: أطلبه. الشوذانق: الصقر. يُتابع الشاعر وصف طلب مهره للكلأ؛ إنه كصقر سريع الطير يلتهم ما يقمّه من العشب، وكأنه يمحو كتابة من على صحيفة يريد تنظيفها، فلا يُبقي أثراً للكلأ على وجه الأرض.

(٢) بمطلق اليمنى: أي لا تجيل في قائمته. الفائق: موصل العنق في الرأس يقصد بذلك أنه طويل العنق. العبل: الضخم الجثة. الشوى: القوائم. المرافق، الواحد مرفق: موصل الذراع في العضد. يصف الشاعر مهره بجمال الشكل وتناسقه فجمع كلّ ما يُحمد في الفرس مثنياً فيه عليه.

(٣) رحب اللبان: واسع الصدر. نائه: عال. الطرائق: أي طرائق اللحم. الإطل: الخاصرة. اللاحق: الضامر. لا يزال الشاعر يتمّ وصف مهره، فيغالي في إتمام صورته، شأنه في ذلك شأن العربي منذ العصر الجاهلي، فهو يهوى المغالاة في وصف ما يُحبّ.

(٤) المحجّل من الخيول: الأبيض القوائم. النهد: الضخم العالي. الكميت: الأحمر المائل إلى السواد. الزاهق: الذي لا هو سمين ولا هو هزيل. الغرة: البياض في وجه الفرس. شدخت الغرّة: انتشرت وسالت سفلاً. الشارق: الشمس لحظة إشراقها.

(٥) و (٦) البارق: السحاب ينبثق منه البرق. البوغاء: التربة الرخوة. الشقائق، الواحدة =

خَـوْفُ ٱلْـجَـبَـانِ فـي فُـؤَادِ الْـعَـاشِـقِ
كَـأَنَّـهُ فـي رَيْـدِ طَـوْدٍ شَـاهِـقِ[١]
يَـشْـأَى إلـى الـمِـسْـمَـعِ صَـوْتَ الـنَّـاطِـقِ
لَـوْ سَـابَـق الـشَّـمْـسَ مِـنَ الـمَـشَـارِقِ[٢]
جَـاءَ إلـى الْـغَـرْبِ مَـجِـيءَ الـسَّـابِـقِ
يَـتْـرُكُ فـي حِـجَـارَةِ الأَبَـارِقِ[٣]
آثَـارَ قَـلْـعِ ٱلْـحَـلْـي فـي الـمَـنَـاطِـقِ
مَـشْـيـاً وَإِنْ يَـعْـدُ فـكَـالْـخَـنَـادِقِ[٤]
لَـوْ أُورِدَتْ غِـبَّ سَـحَـابٍ صَـادِقِ
لأَحْـسَـبَـتْ خَـوَامِـسَ الأَيَـانِـقِ[٥]

= شقيقة: الأرض ذات رمل وحصى. الأبردان: الغداة والعشي. الهجير: حرّ الظهيرة. الماحق: المُزيل. لا يزال الشاعر يصف مهره متحدّثاً عن لونه، إنه بلون البرق، ومن طبيعته القدرة على السير في كل الظروف، في السهل والوعر، في البرد وقيظ الهاجرة.

(١) ركض الفرس: ضربه برحله ليُسرع. الريد: الحرف البادي من جبل. الطود: الجبل الشديد الارتفاع. يُتابع الشاعر حديثه عن شدّة سرعة مهره؛ فالفارس الواثق من فروسيته وقيادته لفرسه، يُداخله خوف شديد لعدم قدرته عليه؛ فإذا قلبه ولهان كأنه قلب عاشق تخلّت عنه حبيبته وهجرته، أو كأنه مشرف على السقوط من حرف جبل عالٍ.

(٢) يشأى: يسبق. المسمع: الأذن. ولشدّة عدوه فإنه يسبق الصوت، وهو لذلك، قادر على سبق الشمس من مشرقها فيصل إلى مغربها قبل مغيبها.

(٣) و (٤) الأبارق: الواحد أبرق: هي آكام فيها حجارة وطين. المناطق، الواحدة منطق: ما يُشدّ بها الوسط. ولشدّة عدوه، فإنه قد يترك آثار قوائمه محفورة على الآكام الصلبة الصخرية، فتبدو كأنها فصوص الحلي في حال قلعها من أمكنتها، وقد يترك آثاراً كأنها خنادق محفورة.

(٥) غبّ: بعد. أحسبت: كفت. الخوامس من الإبل: هي التي ترعى أربعة أيام ثم ترد الماء في اليوم الخامس. الأينق: النياق. يصوّر الشاعر عظم طبع الأرض الناتج عن وطء قوائم مهره، فإذا بها تحتفظ بقسط كبير من مياه الأمطار التي سقطت على =

إذا ٱللِّجَامُ جَاءَهُ لِطَارِقِ
شَحَا لَهُ شَحْوَ الغُرَابِ النَّاعِقِ (١)
كَأَنَّمَا ٱلْجِلْدُ لِعُرْيِ النَّاهِقِ
مُنْحَدِرٌ عَنْ سِيَتَيْ جُلَاهِقِ (٢)
بَزَّ المَذَاكِي وَهْوَ فِي الْعَقَائِقِ
وَزَادَ فِي السَّاقِ عَلَى النَّقَانِقِ (٣)
وَزَادَ فِي الْوَقْعِ عَلَى الصَّوَاعِقِ
وَزَادَ فِي ٱلْأُذْنِ عَلَى ٱلْخَرَانِقِ (٤)
وَزَادَ فِي ٱلْحِذْرِ عَلَى الْعَقَاعِقِ
يُمَيِّزُ ٱلْهَزْلَ مِنَ ٱلْحَقَائِقِ (٥)

= الأرض، وقد كفّت السماء عن الهطول، فإذا بآثار حوافر مهره تمتلئ بما يروي عطش تلك النياق.

(١) الطارق: الحادث ليلاً. شحا: فتح فاه. الناعق: الصائح. وقد يضطر الشاعر إلى استعمال مهره لحادث طارئ ليلاً، فيضع له اللجام، فإذا به يفتح فاه كما يفعل الغراب الذي يُصوّت.

(٢) الناهق: عظم ناتئ في مجرى الدمع من الفرس. السية: ما عطف من طرف القوس. الجلاهق: البندق الذي يرمى به. وما يدلّ على فتوّة مهر الشاعر أن هذين العظمين منه عاريان من اللحم يبدوان تحت جلده كأنهما شدّا على سيتي قوس البندق.

(٣) بزّ: تفوّق. المذاكي: الخيل التي كملت قوّتها. العقائق، الواحدة عقيقة: الشعر الذي يكون مع الوليد ساعة ولادته فيُحلق. النقانق، الواحد نقنق: الظليم، ذكر النعام. لقد كان من أمر مهر الشاعر أنه تفوّق على الجياد القوية فسبقها، وما أفسح له المجال في ذلك قوائمه أطول من ساق النعام.

(٤) الخرانق، الواحد خرنق: ولد الأرنب. ولشدّة عدو المهر فإنه يُصدر صوتاً أقوى من الصوت الصواعق في الأيام الماطرة، فضلاً عن أن أذنيه شديدتا السمع تنتصبان لسماعه أدنى صوت، ولهذا فقد بزّ الخرنق الصغير في هذا المجال.

(٥) العقاعق، الواحد عقعق: ضرب من الغربان، يمدح الشاعر مهره بشدّة الحذر، فهو دائم التوقّع للمفاجآت من أي نوع كانت وبذا تفوّق على الغربان، لذا فإنه يُميّز بين صوت صاحبه إن أراد اللهو في الميدان أو أراد التوجّه إلى المعركة. فيتهيّأ نفسياً ممَّا يدلّ على ذكائه الحادّ في هذا المجال.

وَيُـنْـذِرُ الـرَّكْـبَ بِـكُـلِّ سَـارِقِ
يُـرِيـكَ خُـرْقـاً وَهْـوَ عَـيْـنُ الْـحَـاذِقِ(١)
يَـحُـكُّ أَنَّـى شَـاءَ حَـكَّ الْـبَـاشِـقِ
قُـوبِـلَ مِـنْ آفِـقَـةٍ وَآفِـقِ(٢)
بَـيْـنَ عِـتَـاقِ ٱلْـخَـيْـلِ وَالْـعَـتَـائِـقِ
فَـعُـنْـقُـهُ يُـرْبِـي عَـلَـى الْـبَـوَاسِـقِ(٣)
وَحَـلْـقُـهُ يُـمْـكِـنُ فِـتْـرَ ٱلْـخَـانِـقِ
أُعِـدُّهُ لِـلـطَّـعْـنِ فِـي الْـفَـيَـالِـقِ(٤)
وَالـضَّـرْبِ فِـي ٱلأَوْجُـهِ وَالـمَـفَـارِقِ
وَالـسَّـيْـرِ فِـي ظِـلِّ ٱلـلِّـوَاءِ ٱلْـخَـافِـقِ(٥)
يَـحْـمِـلُـنِـي وَالـنَّـضْـلُ ذُو الـسَّـفَـاسِـقِ
يَـقْـطُـرُ فِـي كُـمِّـي عَـلَـى الْـبَـنَـائِـقِ(٦)

---

(١) الخرق: الحمق. الحاذق: الماهر. وممَّا يدلّ على شدة ذكاء ذلك المهر فإذا حاول أحدهم السرقة صهل محذّراً قومه كي لا يقع المحذور، وهو رغم شدّة عدوه، فإنه يحترس فلا يُنفق قوّته بسرعة بل إنه يعدو بحسبان، فإذا ما اقتضت الأمور زيادة سرعة استجاب لذلك وهو مستريح قادر.

(٢) و (٣) أنى: كيف. الباشق: ضرب من جوارح الطير. قوبل: كرم من جهة الأبوين. الآمق من الخيل: الكريم من جهة أبويه. يصف الشاعر مهره بحبّه للنظافة، لذا فإنه يحكّ جسده كما يحلو له كالباشق من جوارح الطيور، فضلاً عن أنه كريم الأبوين، فأبوه وأمه من أصول عريقة في عالم الخيول عتقاً وجمالاً، فضلاً عن أنه ذو عنق طويل يطاول ويزيد عن طول النخيل جمالاً وجلالاً.

(٤) و (٥) الفيالق، الواحد فيلق: الكتيبة من الجيش. يصف الشاعر مهره بدقّة العنق فمن الممكن أن يُطوّقه المرء بفتره، ولقد جهّزه صاحبه للجولان والصولان في ميادين القتال حيث يُلاقي كتائب الأعداء عليه، حيث يُواجه أعداءه بسيفه يضربهم في وجوههم فيفلق رؤوسهم على مفارقهم، وهو يسير تحت الرايات الخافقة التي يحركها الهواء دلالة على النصر.

(٦) النصل: شفرة السيف. سفاسف السيف: طرائقه. البنائق، الواحدة بنيقة: لبنة =

لا أَلْحَظُ الدُّنْيَا بِعَيْنَيْ وَامِقٍ،
وَلا أُبَالِي قِلَّةَ الْمُوَافِقِ (١)
أَيْ كَبْتَ كُلِّ حَاسِدٍ مُنَافِقِ
أَنْتَ لَنَا وَكُلُّنَا لِلْخَالِقِ (٢)

كريشة في مهب الريح

وورد الخبر بأن غلمان ابن كيغلغ قتلوه فقال: [البسيط]

قَالُوا لَنَا: مَاتَ إِسْحَاقٌ فَقُلْتُ لَهُمْ:
هٰذَا الدَّوَاءُ الَّذِي يَشْفِي مِنَ ٱلْحُمَقِ (٣)
إِنْ مَاتَ مَاتَ بِلَا فَقْدٍ وَلَا أَسَفٍ،
أَوْ عَاشَ عَاشَ بِلَا خَلْقٍ وَلا خُلُقِ (٤)
مِنْهُ تَعَلَّمَ عَبْدٌ شَقَّ هَامَتَهُ
خَوْنَ الصَّدِيقِ وَدَسَّ الْغَدْرِ فِي الْمَلَقِ (٥)
وَحَلْفَ أَلْفِ يَمِينٍ غَيْرَ صَادِقَةٍ
مَطْرُودَةٍ كَكُعُوبِ الرُّمْحِ فِي نَسَقِ (٦)

= القميص. من مآثر ذلك المهر أنه يحمل صاحبه، وبيده سيفه يقطر من دماء الأعداء.

(١) لحظه: رمقه بمؤخر عينيه. الوامق: المحب. يخلص الشاعر إلى ذكر مبتغاه من الدنيا، إنه لا يأمل منها ولا يرنو إليها بعين محبّ عاشق، لأنها تذلّ من تبعها، والشاعر لا يرى أنها تُطاوعه فتسهل وصوله إلى المعالي، بل عليه أن يعمل على إدراك ذلك بهمّة دون الاعتماد على أحد، فهو قادر على ذلك بمفرده.

(٢) كبت: أذلّ. يُخاطب الشاعر مهره، إنه يُعينه على إذلال حساده بمساعدته وكبتهم، فهم يحسدونه على ذلك المهر، وكلاهما مصيرهما واحد يكلأهما برعايته وحمايته.

(٣) و (٤) تنامى إلى مسامع الشاعر أن إسحاق بن كيغلغ مات. فردّ بأن لا دواء إلى الأحمق إلّا الموت، فإنه يرتاح من سخرية الناس ويرتاح الناس من حمقه وغفلته. إنه هجاء أخلاقي مرّ أن ينعت امرؤ بالغباء والحمق. لذا فموت الرجل لا يشعر به الخلق وحياته لا تهمّ أحداً منهم لعدم فائدته للخلق، ولذا فهم لا يتأثّرون بموته وحياتهم تجري على وتيرتها.

(٥) و (٦) الهامة: الرأس. الخون: الخيانة. الملق: التودد الكاذب بحلو الحديث. لقد =